فنّ التّرتيل

س: ما هو التّرتيل في لغة العرب؟

ج: التّرتيل مصدر «رتَّلَ»، يقال: «رتّل الكلام»، أي: أحسن تأليفه، و«رتّل القرآن»، أي: تأنّق في تلاوته، ويقال: «ترتّل في القول»، أي: ترسّل وتأنّى وتمهّل في القول ولم يعجل.

ومن معاني التّرتيل: تحسين الصّوت، وخفض الصّوت عند القراءة.

س: ما هو التّرتيل في اصطلاح علماء التّرتيل؟

ج: التّرتيل في الاصطلاح هو: «التّأنّي في القراءة والتّمهّلُ وتبيينُ الحروفِ والحركاتِ».

التّلاوة:

س: ما المقصود بالتّلاوة في لغة العرب؟

ج: التّلاوة مصدر للفعل «تلا»، أي: تَبِعَ، يقال: «تلا الكتاب»، أي: قرأ جمله وفقراته جملة تَتْبَعها جملة، وفقرة تلو فقرة.

س: ما المقصود بالتّلاوة في اصطلاح علماء التّلاوة؟

ج: التّلاوة في الاصطلاح هي: القراءة، قال تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: 164] [الجمعة: 2].

وفُسّر قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: 121] باتّباع الأمر والنّهي، بتحليل حلاله وتحريم حرامه والعمل بما تضمّنه.

س: ما هي النّسبة بين التّرتيل والتّلاوة؟

ج: النّسبة بين التّرتيل والتّلاوة -بمعنى القراءة-: أنّ التّلاوة أعمّ، والتّرتيل أخصّ، فكلّ ترتيل تلاوة ولا عكس.

التّجويد:

س: ما هو التّجويد في لسان العرب؟

ج: التّجويد لغةً هو: «تصييرُ الشّيء جيّدًا»، والجيّد: ضدّ الرّديء، يقال: «جوّد فلان كذا»، أي: فعله جيّدا، و«جوّد القراءة»، أي: أتى بها بريئة من الرّداءة في النّطق.

س: ما هو التّجويد في الاصطلاح؟

ج: التّجويد اصطلاحا هو: **«إعطاء كلّ حرف حقّه ومُستحَقّه»**.

والـمراد بحقّ الحرف: الصّفة الذّاتيّة الثّابتة له، كالشّدّة والاستعلاء.

والـمراد بمستحقّ الحرف: ما ينشأ عن تلك الصّفات الذّاتية اللاّزمة، كالتّفخيم فإنّه ناشئ عن كلٍّ من الاستعلاء والتّكرير؛ لأنّه يكون في الحرف حال سكونه وتحريكه بالفتح والضمّ فقط، ولا يكون في حال الكسر، وهذا كلّه بعد إخراج كلّ حرف من مخرجه.

واعتبره بعضهم غيرَ داخل في تعريف التّجويد؛ لأنّه مطلوب لحصول أصل القراءة.

لكن قال الشّيخ علي القاري: ولا يخفى أنّ إخراج الحرف من مخرجه –أيضًا– داخل في تعريف التّجويد، كما صرّح به ابن الجزريّ في كتاب التّمهيد، أي: لأنّ الـمعرّف هو القراءة الـمجوّدة، وليس مطلقَ القراءة، وتجويد القراءة لا يكون إلّا بإخراج كلّ حرف من مخرجه.

قال ابن الجزري: التّجويد إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبُها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه وتلطيف النّطق به على حال صيغته وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلّف.

الفرق بين التّرتيل والتّجويد:

س: ما هو الفرق بين التّرتيل والتّجويد؟

ج: الفرق بين التّرتيل والتّجويد هو أنّ التّرتيل وسيلة من وسائل التّجويد، وأنّ التّجويد يشمل ما يتّصل بالصّفات الذّاتيّة للحروف، وما يلزم عن تلك الصّفات، أمّا التّرتيل فيقتصر على رعاية مخارج الحروف وضبط الوقوف، لعدم الخلط بين الحروف في القراءة السّريعة.

الأداء:

س: ما هو الأداء؟

ج: الأداء هو: «الأخذ عن الشّيوخ بالسّماع منهم، أو القراءة بحضورهم».

أهمّيّة علم التّرتيل:

س: لا شكّ أن علم التّرتيل ذو أهمّيّة عظيمة، فما هي؟

ج: التّرتيل طريق عمليّ لرياضة الألسُن وتقويم الألفاظ، وبه نزل القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: 4]

وقال أيضا: ﴿ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32]

وقال النّبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ كَمَا أُنْزِلَ»(1).

وقد قرأه النّبي ﷺ على أُبَيّ بنِ كعب رضي الله عنه بأمر من ربّه، لتعليمه وإرشاده إلى كيفية أدائه، ومواضع الوقف وصيغ النّغم، فإنّ نغم القرآن قدّره الشّرع بخلاف نغم غيره.

الغاية من دراسة علم التّرتيل:

س: ما هي الغاية من دراسة علم التّرتيل؟

ج: الغاية من دراسة علم التّرتيل هي: عصمة اللّسان من الخطأ في كتاب الله –تعالى–.

حكم تعلّم فنّ التّرتيل:

س: ما هو حكم تعلّم فنّ التّرتيل؟

ج: تعلّم فنّ التّرتيل **فرض كفاية** على المسلمين، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثِم الجميع.

حكم العمل بفنّ التّرتيل:

س: ما هو حكم العمل بفنّ التّرتيل؟

ج: العمل بفنّ التّرتيل **فرض عين** على كلّ قارئ لكتاب الله –تعالى–، وخاصّة فيما يتعلّق بالصّلاة، واعتبر العلماء قراءة القرآن بلا أحكام لحنًا ـ خطأً ـ يؤثم القارئ بفعله.

قال شيخ المقرئين ابن الجزريّ –رحمه الله تعالى–:

والأخذ بالتّجويد حتمٌ لازمُ ... من لم يجوّد القرآن آثمُ

لأنّه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

(1) ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» ونسبه إلى أبي نصر السجزي في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» عن زيد بن ثابت، ورمز له بالضعف.

فضل فنّ التّرتيل:

س: فيم يكمن فضل فنّ التّرتيل؟

ج: التّرتيل أشرف العلوم الشّرعية الـمتعلّقة بكتاب ربّ العالـمين، وقـد كـان الصّـحابة -رضي الله عـنهم- يتلونه حقّ تلاوته، حيث يشترك في التّرتيل اللّسانُ والعقل والقلب، فحظّ اللّسان تصحيح الــحروف بالتّرتيـل، وحظّ العقل تفسير الـمعاني، وحظّ القلب الاتّعاظ بالانزجار والائتمار.

أساليب التّلاوة:

س: هل للتّلاوة أسلوب واحد؟ أم تتنوّع إلى أساليب؟

ج: التّلاوة ليست أسلوبًا واحدًا، بل تتنوّع إلى ثلاثة أساليب.

س: ما هي هذه الأساليب الثّلاثة؟

ج: الأساليب الثّلاثة للتّلاوة هي: التّرتيل، والحدر، والتّدوير.

الأسلوب الأوّل ـ التّرتيل:

س: ما هو التّرتيل؟

ج: التّرتيل هو: **«القراءة بتُؤَدَة واطمئنان، وإعطاء الحروف حقّها، من الـمخارج والصّفات»**.

وقد سمّوا هذا الفنّ به؛ لأنّه أشهر طرق الأداء، وأفضل أساليب التّلاوة، ولأنّ القرآن أمر بـه، فقـال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: 4].

الأسلوب الثّاني ـ الحدر:

س: ما هو الحدر؟

ج: الحدر هو: **«سرعة القراءة، وإدراجها مع مراعاة الأحكام»**.

الأسلوب الثّالث ـ التّدوير:

س: ما معنى التّدوير؟

ج: التّدوير هو: **«التّوسّط بين التّرتيل والحدر»**.

س: هل تقتصر التّلاوة على هذه الأساليب الثّلاثة فقط؟

ج: يذكر العلماء أسلوبًا رابعًا، وهو: **«أسلوب التّحقيق»**، وهو قريب جدًّا من أسلوب التّرتيل، ولهذا استغنينا عن ذكره.

الأساليب الـممنوعة للتّلاوة:

س: هل هناك أساليب يمنع اتّباعها في تلاوة القرآن الكريم؟

ج: هناك أساليب ممنوعة في قراءة القرآن الكريم، لا بدّ من معرفتها لتجنّبها واستنكارها، وهي:

الأسلوب الأوّل ـ التّطريب:

س: ما هو التّطريب؟

ج: التّطريب هو: **«أن يتتبّع القارئ صوته، فيُخلّ بأحكام التّجويد وأصوله»**، فهذا حرام، أمّا إذا قـرأ القـارئ بالـمقامات والطّبوع الفنّيّة، وكان أداؤه مطابقًا لأحكام التّجويد وأصوله ولم يخلّ بها فهو جائز.

الأسلوب الثّاني ـ التّرجيع:

س: ما هو التّرجيع؟

ج: التّرجيع هو: **«تمويج الصّوت أثناء القراءة، وخاصّة في الـمدود»**، أو هو: **«رفع الصّوت ثمّ خفضه وإعادة الرّفع والخفض في الـمدّ الواحد مرّات»**.

وهذا غير الـمعنى الاصطلاحيّ في ترجيع الأذان الّذي فيه تَكرار لكلماته.

الأسلوب الثّالث ـ التّرقيص:

س: ما هو التّرقيص؟

ج: التّرقيص هو: **«أن يزيد القارئ حركات بحيث يصير كالرّاقص يتكسّر»**.

الأسلوب الرابع ـ التّحزين:

س: ما هو التّحزين؟

ج: التّحزين هو: **«أن يترك القارئ طبعه وعادته ويأتي بالتّلاوة على وجـه آخـر كأنّـه حـزين يكـاد يبكـي مـن خشوع وخضوع بقصد الرّياء والسّمعة»**.

أمّا إذا أتى القارئ بالتّلاوة بنغمة حزينة في خشوع وتدبّر ومحافظة على الأحكام والأصول فهذا ليس بممنوع.

الأسلوب الخامس ـ التّرعيد:

س: ما هو التّرعيد؟

ج: التّرعيد هو: **«أن يأتي القارئ بصوت كأنّه يرعد من شدّة برد أو ألم أصابه»**.

الأسلوب السّادس ـ التّحريف:

س: ما هو التّحريف؟

ج: التّحريف هو: **«أن يجتمع أكثر من قارئ ويقرؤون بصوت واحد، فيقطعون القراءة، ويأتي بعضهم ببعض الكلمة والآخر ببعضها الآخر، ليحافظوا على الأصوات، ولا ينظرون إلى ما يترتّب على هذا من إخلال بـالثّواب، فضلا عن الإخلال بتعظيم كلام الله –تعالى–»**.

الأسلوب السّابع ـ التّلاوة مع الآلات الموسيقيّة:

س: هل يجوز تلاوة القرآن الكريم مع الآلات الموسيقيّة؟

ج: التّلاوة مع الآلات الموسيقيّة هو من أقبح البدع وأشنع الضّلالات، وينبغي ردّها ومعاقبة القـائمين عليهـا والـمروّجين لها.

ما يخلّ بالتّجويد، وحكمه:

س: ما هي مواقع الإخلال بالتّجويد؟

ج: يقع الإخلال بالتّجويد إمّا في أداء الحروف، وإمّا فيما يلابس القراءة من التّغييرات الصّوتيّة المخالفة لكيفيّة النّطق المأثورة، وقد بيّنا هذا النّوع الثّاني في الأساليب الممنوع للتّلاوة.

س: ماذا يسمّى الإخلال الواقع في أداء الحروف؟

ج: الإخلال الواقع في أداء الحروف يسمّى **«اللّحن»**.

اللّحن:

س: ما هو اللّحن؟

ج: اللّحن هو: **«الخطأ والـميل عن الصّواب»**، وهو نوعان: جليّ وخفيّ.

النّوع الأوّل ـ اللّحن الجليّ:

س: ما هو اللّحن الجليّ؟

ج: اللّحن الجليّ: **«خطأ يطرأ على الألفاظ فيخلّ بعرف القراءة، سواء أخلّ بالـمعنى أم لم يـخلّ»**.

س: لـماذا سمّي هذا النّوع باللّحن الجليّ؟

ج: سمّي هذا اللّحن جليّا لأنّه يخلّ إخلالا ظاهرا، يشترك في معرفته علماء القرآن وغيرهم.

س: أين يكون اللّحن الجليّ؟

ج: يكون اللّحن الجليّ في مبنى الكلمة، كتبديل حرف بآخر، أو في حركتها، بتبديلها إلى حركة أخرى أو سكون، سواء أتغيّر المعنى بالخطأ فيها أم لم يتغيّر.

س: ما هو حكم اللّحن الجليّ؟

ج: هذا النّوع يحرم على من هو قادر على تلافيه، سواء أوهم خلل المعنى أم اقتضى تغيير الإعراب.

النّوع الثّاني ـ اللّحن الخفيّ:

س: ما هو اللّحن الخفيّ؟

ج: اللّحن الخفيّ هو: **«خطأ يطرأ على اللّفظ، فيخلّ بعرف القراءة ولا يخلّ بالمعنى»**.

س: لماذا سمّي هذا النّوع باللّحن الخفيّ؟

ج: سمّي هذا اللّحن خفيًّا لأنّه يختصّ بمعرفته علماء القرآن وأهل التّجويد.

س: أين يكون اللّحن الخفيّ؟

ج: يكون اللّحن الخفيّ في صفات الحروف.

س: ما هو حكم اللّحن الخفيّ؟

ج: اللّحن الخفيّ حكمه يتعلّق بقسميه، وهو قسمان:

أحدهما: لا يعرفه إلاّ علماء القراءة، كترك الإخفاء، وهو ليس بفرض عين يترتّب عليه عقاب، بل فيه خوف العتاب والتّهديد.

والثّاني: لا يعرفه إلاّ مَهَرة القرّاء، كتكرير الرّاءات، وتغليظ اللاّمات في غير محلّها، ومراعاة مثل هذا مستحبّة تحسن في حال الأداء.